مجلة جامعة الملك سعود، م٢٢، السياحة والآثار (١)، ص ص ٨٥-١٠٦، الرياض (٢٠١٠م، ١٤٣١هـ)

البترا وجوارها في القرن السادس الميلادي من خلال البرديات المكتشفة في كنيسة البترا عام ١٩٩٣م[1]

محمد إسماعيل النصرات

جامعة الحسين بن طلال

(قدم للنشر في ١٠/ ٥/ ١٤٣١هـ وقبل للنشر في ١٥/ ٧/ ١٤٣١هـ)

الكلمات المفتاحية: البرديات البيزنطية، البترا، جنوب الأردن، الزراعة.

ملخص البحث. يحاول هذا البحث إلقاء بعض الضوء على منطقة البترا وجوارها خلال الفترة البيزنطية من خلال الاعتماد على البرديات البيزنطية المكتشفة في كنيسة البترا عام ١٩٩٣م، حيث دلت هذه البرديات على وجود مجتمع مستقر، بالإضافة إلى استمرار الاستيطان البشري في البترا والمناطق المجاورة لها مثل أذرح والصدقة والجرباء، خاصة بعد الزلازل المتكررة الذي تعرضت له المنطقة خلال الفترة البيزنطية، وقد أكدت الحفريات والمسوحات الأثرية التي تم تنفيذها في المنطقة صدق المعلومات التي وردت في هذه البرديات. إضافة إلى ذلك أظهرت البرديات أن الزراعة كانت العمود الفقري للاقتصاد خلال هذه الفترة، وامتلاك أشخاص من البترا وجوارها لمساحات واسعة من الأراضي داخل المنطقة، وامتداد هذه الاملاك إلى غزة في فلسطين.

(١) عندما نتحدث عن منطقة البترا وجوارها فإننا نقصد مدينة البترا، بالإضافة إلى المناطق التي ذكرت في البرديات، وهي اذرح والصدقة والجرباء.

إن دراسة تاريخ منطقة جنوب الأردن خلال القرن السادس الميلادي (الفترة البيزنطية)، تواجهها العديد من الصعوبات أهمها: قلة الحفريات والمسوحات الأثرية التي قامت في المنطقة، إضافة إلى عدم الاهتمام من قبل الأباطرة البيزنطيين بمنطقة جنوب الأردن، نظراً لبعدها عن مركز الدولة البيزنطية، ونتيجة لذلك فإن عدداً قليلاً من المصادر البيزنطية تحدثت عن منطقة جنوب الأردن بشكل عام، والبترا بشكل خاص[٢]. (الخريطة رقم ١).

ويرى روبرت شيك (Robert Schick) أن عدم الاهتمام بالبترا ومناطق جنوب الأردن خلال الفترة البيزنطية يرجع إلى ضعف الأهمية الاقتصادية لهذه المناطق وتضآل حجم الاستيطان البشري هناك (Schick, 1994: 134). كما أن معظم المناطق في جنوب الأردن تعاني قلة الأمطار، وارتفاع درجات الحرارة خلال فصول السنة، كما أن التجارة لم تلعب الدور الأساسي والمهم الذي كانت تلعبه خلال الفترة السابقة (الفترة النبطية) (Schick , 1994: 134)، مما أثر على أهمية تلك المنطقة.

وعلى ما يبدو فإنه لا يمكن مقارنة الاهتمام البيزنطي بمناطق شمال الأردن بمناطق الجنوب، لما تتمتع به الأولى من خصوبة عالية، وارتفاع الكثافة السكانية هناك مقارنة مع مناطق جنوب الأردن (Watson, 2001: 462). كما أن المصادر الإسلامية لم تلق الضوء على البترا خلال فترة الفتوحات الإسلامية[٣]، بالرغم من أن هذه المصادر أشارت إلى وجود صلح بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأهل الجرباء وأذرح عام (٨هـ/ ٦٢٩م)، واتفاقية صلح أخرى مع يحنة بن رؤبة صاحب أيلة عام (٨هـ/ ٦٢٩م) (الواقدي، ١٩٦٦م: ٦٥، ابن سعد، ١٩٥٧م: ١٢٥). وقد بقيت البترا طي النسيان حتى عام (١٨١٢م) عندما أعاد اكتشافها الرحالة السويسري بيركهاردت.

تعرضت مدينة البترا للعديد من الزلازل، كان أولها عام (٣٦٣م)، أدت إلى هجر المدينة جزئياً من قبل سكانها، والانتقال إلى بعض المناطق القريبة منها مثل أذرح والجرباء، وأدت كذلك إلى تدمير كثير من معالم المدينة الأثرية (Russell, 1990 : 37-60). وقد أشار الأسقف سيريل (Syril) أسقف القدس إلى الدمار الذي لحق بمدينة البترا عقب هذا الزلزال، حيث يذكر أن مدينة البترا التي يذكرها باسم الرقيم (Reqem)، من بين المدن التي تم تدميرها بالإضافة إلى القدس، وهذه الرسالة هي أول دليل مكتوب على وجود دمار لحق بمدينة البترا خلال القرن الرابع الميلادي (Russell, 1990, 37-40, Hammond, 1980 : 65-67).

ويرى بعض الباحثين أن المدينة تعرضت لدمار كبير بعد هذا الزلزال، وانتشار الفقر بين السكان المحليين الذين كانوا يدينون بالمسيحية، حتى أنهم لم يمتلكوا المال اللازم لبناء كنيسة، مما دعاهم إلى تحويل ضريح الجرة إلى كنيسة عام (٤٤٦م) (Russell, 1990 : 37-60). (الصورة رقم ١)، ما يعطي صورة كئيبة حول أوضاع مدينة البترا خلال الفترة البيزنطية، أو على الأقل خلال فترة قصيرة من القرن الخامس الميلادي. <u>إلا أنه يبدو أن أزدهار المنطقة خلال الفترة البيزنطية،</u>

---

(٢) لمعرفة المزيد عن المصادر البيزنطية التي تحدثت عن جنوب الأردن خلال هذه الفترة (الفترة البيزنطية)، انظر: النصرات والنعيمات، ٢٠٠٩، ١-٣٨.

(٣) لمعرفة المزيد عن الأنباط في المصادر الإسلامية، انظر: حمارنة، ١٩٩١، ٥-٢٥.

وازدياد عدد السكان هو الذي دعا السكان إلى تحويل الضريح إلى كنيسة[٤].

وفي عام (٥٥١م) تعرضت مدينة البترا لزلزال كبير أدى إلى تهجير كثير من سكان المدينة إلى المناطق القريبة والمحيطة بها، ويرى بعض الباحثين أن البترا هجرت، وأصبحت خالية من السكان بعد هذا الزلزال (Schick, 1994 : 134, Russell, 1990 : 37-60). إلا أن اكتشاف البرديات البيزنطية عام (١٩٩٣م) في داخل غرفة بجوار الكنيسة الرئيسة في البترا[٥]، غير كثير من هذه الآراء. (الصورة رقم ٢)

لقد أظهرت البرديات المكتشفة استمرار أهمية البترا كمركز إداري في الإمبراطورية البيزنطية خلال القرن السادس الميلادي، أي بعد تعرض المدينة لعدد من الزلازل. كما أنها ألقت الضوء حول الواقع الاقتصادي والاجتماعي في مدينة البترا وجوارها خلال هذه الفترة. هذا يدل على أن البترا لم يتم تدميرها كلياً بعد هذه الزلازل، بل بقيت مأهولة بالسكان خلال القرن السادس الميلادي، ولكن كما يبدو لم تكن مزدهرة مثلما كانت من قبل. وقد أشارت المسوحات الأثرية إلى وجود العديد من المناطق السكنية بالقرب من معبد الأسود المجنحة، وإلى الشرق من شارع الأعمدة، وبالقرب من منطقة الزنطور، ومنطقة الكتوته (الخيري، ١٩٨٦: ٤٩) وإلى الجنوب من قصر البنت (Zayadine, 1985 : 239-249).

والجدير بالذكر أن الحفريات والمسوحات الأثرية في منطقة البترا أظهرت أن معظم الأسواق التي كانت منتشرة على طول شارع الأعمدة، والتي تؤدي إلى منطقة الزنطور، هجرت في نهاية القرن الخامس الميلادي (Fiema, 1998 : 395-424)، مع بقاء بعض المواقع مستخدمة حتى القرن السادس الميلادي (Fiema, 1998 : 395).

خلال القرن السادس الميلادي بقيت البترا وجوارها تلعب دوراً مهماً في المنطقة، فقد اعتمد السكان المحليون على زراعة الأرض بشكل أساسي مما تطلب استمرارية في إدارة المياه وقنواتها، والحفاظ عليها من الدمار، وإعادة ما خرب منها، كما بقيت عملية جمع الضرائب مستمرة من قبل جباة الضرائب المُعينين من قبل السلطات البيزنطية، وقد ظهر ذلك بشكل واضح في برديات البترا[٦] (Frösên, Arjava, and Lehtinen, 2002 : 81, 83, 85).

وقد بينت البرديات أن الزراعة كانت العمود الفقري للاقتصاد في البترا خلال القرن السادس الميلادي. وبالرغم من أهمية وسمعة البترا تجارياً خلال القرون السابقة - أي خلال الفترة النبطية - إلا أن الناحية التجارية لم تظهر في البرديات (Bikai, 1996 : 489 , Downey, 2005: 784). كما تظهر البرديات

(٤) قارن أدلة البرديات (ص٩) التي تشير إلى استمرار بناء الكنائس في المدينة خلال الفترة البيزنطية.

(٥) تم العثور على هذه البرديات عام (١٩٩٣م) بجوار غرفة محترقة في كنيسة البترا الرئيسة (الخريطة رقم ٢)، وكان مجموعها (١٥٢) لفيفة، تم ترميمها من قبل فريق مشترك من جامعتي متشغين وهلسنكي، وقد كتبت هذه البرديات باللغة اليونانية وهي لغة الإدارة الرسمية في الدولة البيزنطية، وتؤرخ هذه البرديات إلى القرن السادس الميلادي، وتغطي الفترة ما بين (٥٢٨-٥٩٢م)، أي خلال فترة حكم الإمبراطور البيزنطي جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) وخلفائه الامبراطور جستين الثاني (٥٦٥-٥٧٨م) والامبراطور طيباريوس الثاني (٥٧٨-٥٨٢م). انظر: Pikai, 1996, 487. انظر كذلك: Al-Ghul, 2004, 107 Daniel, 1996, 1-4, Lehtinen, 2002, 277-278.

(٦) انظر: البردية رقم (١٣) والبردية رقم (١٤).

امتلاك بعض الأشخاص في البترا للأراضي الزراعية في المناطق القريبة من البترا، مثل منطقة أم لوزا التي تقع إلى الشمال من المدينة، وما زالت هذه المنطقة تستغل زراعياً من قبل الأهالي وتحمل الأسم نفسه، بالإضافة إلى منطقة الرفيد التي ما زالت تستغل زراعياً وتحمل الاسم نفسه. وهذا دليل على المستوى الاقتصادي لسكان مدينة البترا خلال هذه الفترة حيث يتضح لنا من خلال ذلك أن سكان البترا كانت لهم أملاك وأراض خارج حدود المدينة. (Frösên, Arjava, and Lehtinen, 2002: 36). كما أن بعض نصوص البرديات تم تأريخها بسنوات حكم الأباطرة البيزنطيين، وهذا يدل على وصول الأوامر الأمبراطورية للبترا، وبقائها مركزاً إدارياً مهماً خلال الفترة البيزنطية (Arjava, Buchholz and Gagos, 2007 : 9)[٧]، وقد بينت البرديات أنه على الأقل بقيت الإدارة المحلية في كل من البترا وأذرح تمارس وظيفتها بشكل طبيعي - تقريباً- حتى منتصف القرن السادس الميلادي (Traianos and Frösên, 1998 : 476). وهنا لا بد من القول إن معظم الباحثين أكدوا أن أذرح وردت في البرديات النبطية باسم اغسطوبولس (Augustopolis)، وقد بقي عمال الضرائب يجمعون الضريبة من كلا المدينتين (البترا وأذرح) خلال القرن السادس الميلادي[٨](Traianos and Frösên, 1998 : 476)،

ولا بد من الإشارة إلى أن أذرح باسمها الحالي لم يرد في البرديات البيزنطية[٩].

كما أن الكنيسة التي وجدت فيها البرديات البيزنطية عام (١٩٩٣م) تدل دلالة واضحة على أنها كانت مستخدمة خلال القرن السادس الميلادي، وربما خلال الفترات التالية (حتى منتصف القرن السابع الميلادي). كُتبت البرديات باللغات اليونانية والنبطية والآرامية، مما يدل على وجود تفاعل بين البيئات الثقافية المختلفة في البترا (Frösên, Arjava, and Lehtinen, 2002 : 7).

من خلال البرديات يمكُننا التعرفُ على بعض الأوزان والمقاييس التي استخدمها السكان المحليون في البترا خلال القرن السادس الميلادي، فيلاحظ أنهم لم يستخدموا فقط المقاييس الرومانية التي استخدمت لقياس مساحة الأرض مثل (iugerum)[١٠]، بل استخدموا أيضاً الأوزان السامية للوزن مثل الكور (Koriaia/kor)[١١] والصاع (satiaia/ se'ah)[١٢]، وقد وجدت الأوزان

(٧) لمعرفة المزيد عن هذه البرديات والأباطرة البيزنطيين الذين تم ذكرهم في البرديات مثل: جستنيان الأول وجستين الثاني وطيباريوس والقائد العسكري البيزنطي بيلزاريوس الذي كان في خدمة الامبراطور جستنيان، انظر:

Frösên, Arjava, and Lehtinen, 2002, 2124-.

(٨) لمعرفة المزيد عن أذرح والحفريات الأثرية في الموقع الأثري، انظر:

Killick, 1986, 431-446.

(٩) لمعرفة المزيد عن أذرح وتسميتها أغسطوبولس خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين. انظر: النصرات، ٢٠٠٩، ١١٠-١١٩.

(١٠) جمعها (iugera) وهي وحدة قياس رومانية تستخدم لقياس مساحة الأرض، تساوي تقريبا ٢٦٢,١م². Charles, 1957,103.

(١١) يستخدم الكور لكيل القمح والطحين والزيت وهو يساوي ٧,٣ لتر، ويقول ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) إن الكور الواحد يساوي ٦٠ قفيز. انظر: الحموي، ١٩٨٦، ج٥، ٤٥١. وفي المصادر اليهودية يتضمن الكور ٣٠ صاع. انظر:

Lewy, 1944, 6573-

(١٢) الصاع يتألف من ٤ أمداد، ويزن الصاع حوالي ٥ وثلث الرطل مدني نسبة للمدينة أو ٨ أرطال بغدادية نسبة إلى بغداد، أي ان كلا منهما على حده يعادل ٣,٢٤٥ كغم من القمح. انظر : هنتس،٢٠٠١، ٦٣.

والمقاييس نفسها في البرديات التي عُثر عليها في نيسانا في النقب. وفي أرشيف باباثا الذي عُثر عليه في البحر الميت تم ذكر الأوزان والمقاييس نفسها (Koenen, Daniel, and Gagas, 2003, 254).

ومن أهم المواضيع التي تحدثت عنها البرديات: تقسيم الأملاك الزراعية والإرث، وعمليات البيع والشراء، ونقل الملكيات، ونقل مسؤوليات الضرائب من شخص إلى آخر عند بيع الأراضي (Traianos and Frösên, 1998 : 477).

فالبردية رقم (٦٧) تتحدث عن حاكم منطقة أماثا (Ammatha)[١٣] فلافيوس بن دوساريوس، والفيوس بن فالنس وهو موظف أو مواطن من البترا، وتذكر هذه البردية أن فلافيوس طلب من الفيوس نقل مسؤوليات الضرائب عن قطعة أرض إلى ثيودورس بن عبادينوس، أما هذه القطعة فتقع بالقرب من الصدقة التي تبعد حوالي (٢٠) كم جنوب شرق البترا (Traianos and Frösên, 1998 : 476). وهنا لا بد من التأكيد أن معظم الأراضي الزراعية التي وردت في البرديات حملت أسماء عربية. وأن البترا أبقت على صلاتها مع المجتمعات القريبة منها في الصدقة وأذرح والحمام، كما يلاحظ من البرديات بقاء الإدارة – على الأقل الإدارة المحلية في البترا والصدقة – تمارس مهامها بشكل كامل حتى منتصف القرن السادس الميلادي (Traianos and Frösên, 1998 : 477).

وخلال القرن السادس الميلادي فإنه من المؤكد أن منطقة البترا وجوارها في مناطق وادي موسى وبيضا كانت مستغلة زراعياً، ومستوطنة بشرياً. كما أن البترا بقيت سوقا زراعياً مهماً لتصدير العديد من المنتجات الزراعية (Amr, Al- Momani, Farajt, and Falaht, 1998 : 503-548)[١٤].

ويرى بعض الباحثين أن المجتمع المحلي في البترا لم يكن منفصلاً أو معزولاً عن بقية المجتمعات الأخرى في الإمبراطورية البيزنطية، وهذا يدل على أن وجود القوات العسكرية والإدارة البيزنطية في البترا كان مؤكداً (Caldwell, 1993: 18). فقد تحدثت البرديات عن وجود أشخاص يحملون رتب عسكرية في كل من الصدقة وأماثا، وتذكر البرديات أسماء بعض هؤلاء الجنود مثل: فلافيوس باركوس (Flavius Barakhos)[١٥] وفلافيوس ثوماس (Flavius Thomas) الذي تزوج من سيدة من البترا تدعى كيرا (Kyra) (البردية رقم ٦) (Fiema, 2007 : 315).

ذكر البرديات لهذه الأسماء يدل على وجود علاقات وروابط اجتماعية قوية بين السكان المحليين وبين الجنود المتمركزين داخل المنطقة. وقد وجد بين النصوص البردية ثلاث نصوص وهي عبارة عن وصولات ضريبية، تؤرخ إلى العقود الأخيرة من القرن السادس الميلادي، مما يدل على أن المجتمع المحلي في البترا بقي قائماً بعد الزلزال الذي ضرب البترا عام (٥٥١م)، وهذا على خلاف ما تذكره بعض المصادر التي ترى أن البترا تم تدميرها وهجرها من قبل السكان المحليين (Lehtinen, 2002 : 278). إلا

(١٣) منطقة الحمام: وهي مستوطنة بشرية تقع على بعد ٢٤ ميل جنوب شرق البترا و٥٠ ميل إلى الشرق من الصدقة وبالقرب من مدينة معان.

(١٤) من المهم القول: إن المعلومات التي جاءت في البرديات المكتشفة في البترا قد وفرت معلومات واضحة حول طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية في البترا والمناطق المجاورة بها خلال القرن السادس الميلادي.

(١٥) انظر البردية رقم (٤٤)، والتي تؤرخ إلى عام ٥٩٣م.

أنه وبالرغم من الدمار المحتمل الذي أوقعه الزلزال، فإن البترا كانت قادرة على الحفاظ على مركزها الإدراي خلال هذه الفترة، واستمرت في دفع قيمة الضريبة المستحقة عليها، وقد بقيت القوات العسكرية تتمركز في هذه المنطقة المهمة (Fiema, 2007: 315). فالبردية رقم (٦٠) تبين أنه حتى عام (٥٤٠م)، بقيت البترا مركزاً إدارياً كبيراً في المنطقة، حيث يرد في هذه البردية قيام تاجر من منطقة أذرح بتسجيل أحد كروم العنب هناك في مكتب الضريبة في البترا، بعد أن تم تخمين قيمة الضريبة على هذ الكرم من قبل موظفي الضرائب المحليين (Arjava, Buchholz, and Gagos, 2007: 33).

وتزودنا نصوص البرديات بمعلومات مهمة عن الأوضاع الاقتصادية للسكان في البترا خلال هذه الفترة، وقيام بعض الأشخاص بدفع الهبات والمنح لبناء كنائس داخل البترا، بالإضافة إلى قيامهم بإعطاء الهبات للفقراء والمحتاجين في المدينة (Lehtinen, 2002: 278). ويتحدث أحد النصوص الموجودة عن قيام الكنيسة في البترا بإنشاء مستشفى داخل المدينة، بتبرع ودعم من أحد الأشخاص الطيبين (Lehtinen, 2002, 278).

تعتبر البردية رقم (١٠)[١٦] والتي تؤرخ إلى عام (٥٢٧/ ٥٣٧م) من أهم البرديات التي تم العثور عليها في البترا، فقد وضحت هذه البردية وجود نشاط زراعي مكثف، بالإضافة إلى وجود مجتمعات مستقرة داخل البترا خلال القرن السادس الميلادي (Frösên, Arjava, and Lehtinen, 2002 : 24-25). إذ سجلت هذه البردية عملية اقتسام تركة بين ٣ أخوة، غير أن عملية القسمة لم تكن واضحة بشكل جيد، بسبب فقدان وتلف بعض أجزاء البردية. هؤلاء الإخوة هم باسوس (Bassus) وأبفيانوس (Epiphanius) وسابينوس (Sabinus)، وفي نهاية الاتفاق على تقسيم الإرث هناك قسم من قبل الإخوة الثلاثة باسم الثالوث المقدس وحياة الإمبراطور البيزنطي، بالإضافة إلى وجود عبارة تدل على عقوبة من يخالف أو يعارض عملية القسمة (Koenen, 1996: 181)، أما التواقيع الشخصية على هذه البردية فهي غير موجودة.

أما بخصوص التركة المقسمة فقد تضمنت مجموعة من الأراضي الزراعية والحقول بالإضافة إلى مجموعة من العبيد، فهذه الأراضي كانت تقع بالقرب من منطقة تدعى (Serila)، ومنطقة (Ogbana)[١٧]. وتذكر البردية أن قسمة التركة بين الاخوة الثلاث جرت عن طريق القرعة[١٨]، وحول مساحة هذه الأراضي فيبدو أنها كانت صغيرة، فكما تذكر البردية فإن مساحة هذه الأراضي كانت تتراوح بين (٢) إلى (١٦) acres[١٩]، وهذا يعني أن هذه الحقول تقع في مناطق جغرافية

(١٦) تسمى هذه البردية باسم (بردية الملك الحسين والملكة نور).

(١٧) ما زالت هذه المناطق غير معروفة لغاية الآن. ويبدو أنها من المناطق الزراعية التي تحمل أسماء خاصة بأهالي المنطقة في البترا خلال الفترة البيزنطية. ولا يمكننا حتى الآن معرفة إذا ما كانت أسماء هذه المناطق الجغرافية تعود إلى قرى أو مدن قريبة من البترا. ويرى بعض الباحثين أنها ربما أشتقت اسماء هذه المناطق من أسماء أشخاص أو قبائل او أسماء عائلات عاشت بالقرب من البترا خلال القرن السادس الميلادي. Koenen, Daniel and Gagas, 2003,256

(١٨) تتحدث البرديات التي عثر عليها في مدينة نيسانا في النقب عن تقسيم الممتلكات والأراضي بين الورثة عن طريق القرعة أيضاً. انظر: Kraemer, 1958, Vol 2, 210.

(١٩) وهي وحدة قياس لمساحة الأرض، باليونانية (agros) وباللاتينية (ager)، وهي تساوي ٤٠ قصبة (القصبة تساوي ٥ ياردات ونصف) طولاً أي حوالي ٢٢٠ ياردة، و٤ قصبات عرضاً.

مختلفة، وتبين البردية أن مجموع مساحة الأراضي التي أقتسمها الأخوة الثلاث كانت (٨٥) فدانا. وأوضحت البردية كذلك أن الاخوة لم يزرعوا هذه الأراضي بأنفسهم بل قاموا بتأجيرها لمزارعين آخرين ليقوموا بزراعتها والاعتناء بها. أما العبيد الذين كانوا يعملون في الأرض فقد تم إعطاؤهم حريتهم (Frösên, Arjava, and Lehtinen, 2002 : 24-25).

وتبين البردية المحاصيل الزراعية التي كانت موجودة في البترا خلال القرن السادس الميلادي، وهي: الحبوب (القمح والشعير)، والفواكه، وبساتين العنب، بالإضافة إلى صناعة النبيذ. ومن المهم القول هنا إن الأراضي الزراعية التي تمت قسمتها كانت على نوعين: النوع الأول هي الأراضي البعلية التي تسقى بماء المطر. أما النوع الثاني فهي الأراضي المروية التي يتم سقيها (Frösên, Arjava, and Lehtinen, 2002 : 24-25).

ومما يلاحظ على البردية رقم (١٠) أنه لا يذكر شيئاً عن المراعي وحق الرعي، فقط بردية واحدة من الأرشيف الذي تم العثور عليها في الكنيسة يرد فيها الإشارة إلى حق الرعي[٢٠]. وعند مقارنة ذلك مع البرديات التي تم العثور عليها في نيسانا، نجد أنها تتشابه في ذلك ولا يرد ذكر للرعي والمراعي في هذه البرديات أيضاً (Kraemer, 1958 : 210-225).

وعلى مايبدو فإن المواشي كانت ترعى في الأراضي العامة التي لا تعود ملكيتها لأحد، أو أنه يتم رعيها في الأراضي التي يتم حصادها. فما يزال السكان المحليون في مناطق جنوب الأردن – حتى اليوم – يقدمون مواشيهم لرعي الأراضي التي تم حصادها، بالإضافة إلى أن هناك مراعي عامة ليست ملكاً لأحد يتم رعي المواشي فيها.

ويتضح من خلال البرديات وجود لجان رسمية محلية من البترا وأذرح خلال القرن السادس الميلادي كانت تتولى أمر تنظيم الضريبة وتحصيلها من قبل المواطنين المحليين، وإرسالها إلى إدارة الدولة البيزنطية. من هؤلاء الموظفين الذين ظهرت أسماؤهم في البرديات إيثانيوس بن دوساريوس (Euthenius son of Dousarius)، والذي كان دوره تسجيل الأراضي والممتلكات المستحقة عليها الضريبة، بالإضافة إلى إصدار وصولات تبين أن الضريبة قد دفعت (Frösên, Arjava, and Lehtinen, 2002: 84-89). وهذا يعطينا دليلاً واضحاً على وجود تنظيم إداري وعسكري بيزنطي في منطقة جنوب الأردن إلى جانب القبائل العربية المتحالفة مع البيزنطيين.

فالبرديات (١–٥) تتحدث عن نقل ملكية أراضٍ زراعية من شخص يدعى فلافيوس باتريكوس (Falvius Patrikos) إلى شخص آخر لا تذكر البرديات اسمه، ومن ثم نقل العبء الضريبي إلى صاحب الأرض الجديد، وتذكر البرديات اسم موظف الضرائب الذي تولى هذه المهمة ويدعى إيثانيوس بن دوساريوس، وقد كان إيثانيوس هذا يعمل في مكتب الضريبة في البترا، كما أنه كان مسؤولاً عن جمع الضرائب في أذرح (Frösên, Arjava, and Lehtinen, 2002: 72). ويرد في هذه البردية أيضاً أن بعض الأراضي الزراعية في البترا سُجلت بأسماء أشخاص آخرين غير أصحابها (Frösên, Arjava, and Lehtinen, 2002: 72). وربما ذلك كان من أجل التهرب من دفع الضريبة.

ويمكننا القول من خلال نصوص البرديات: إن هؤلاء الموظفين العسكريين والإداريين هم من السكان المحليين. فقد تحدثت البرديات عن وجود بعض الجنود

(٢٠) وهي البردية رقم (١٠).

العسكريين المقيمين في منطقة الصدقة، حتى العقود الأخيرة من القرن السادس الميلادي (Frösên, 2004 141 :-144). إلا أن هذه البرديات لم تقدم لنا صورة واضحة حول الأوضاع الإدارية في المنطقة خلال القرن السادس الميلادي، ويبدو أن دوساريوس بن فالنس وهو أحد أفراد عائلة ثيودورس كان قائداً عسكرياً في الوحدة العسكرية التي استقرت في الصدقة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن عمليات المسح والتنقيب الآثاري في منطقة الصدقة ومحيطها قد كشفت عن وجود حصن عسكري ومبنى إداري تابع له، ومجموعة من مواقع الاستقرار المحيطة بها والتي تؤرخ إلى الفترات الممتدة من النبطية وحتى البيزنطية، وكذلك بينت المجسات الاختبارية الآثارية في موقع الصدقة إلى أن الموقع سُكن بشكل متواصل من الفترة النبطية وحتى البيزنطية (Al-Salamin, Twaissi, and Abudanah, 2007: 395-417).

لقد بقيت القوات العسكريةُ البيزنطية المتمركزة في منطقة جنوب الأردن تمارس مهامها العسكرية حتى نهاية القرن السادس الميلادي أي حوالي (٥٩٣/ ٥٩٤م) (Fiema, 2007: 316). إن استمرار وجود هذه القوات وجامعي الضرائب البيزنطيين في المنطقة يدل على أن القبائل العربية المتحالفة مع البيزنطيين بقيت تعمل جنباً إلى جنب مع القوات البيزنطية والموظفين المحليين، وقامت هذه القوات بدور كبير في الدفاع عن القرى والمدن في مناطق جنوب الأردن ضد غارات البدو.

وكما ذكرنا سابقاً فقد كان هناك مبعوثون من قبل السلطات البيزنطية في البترا سنوياً لتحصيل قيمة الضرائب المستحقة على المنطقة[٢١] (Frösên, Arjava, and Lehtinen, 2002, 100, 105, 107-110). و كان يتم حفظ تقارير المحاسبة في كل من البترا وأذرح. وهنا تجدر الإشارة إلى أن عمليات المسح الأثري في هذه المنطقة كشفت عن شبكة معقدة من الطرق التجارية (الخريطة رقم ٣) تربط البترا بأذرح وبقية المواقع المحيطة بها (Amr, , Al- Momani, , Farajt, , and Falaht, 1998: 543). ويبدو أن مكتب جمع الضرائب في الصدقة كان مرتبطاً إدارياً بأذرح. كما أن ازدهار الزراعة في البترا والمناطق المجاورة لها خلال الفترة البيزنطية قد ساعد السكان المحليين على دفع الضريبة للدولة البيزنطية. كما أن وجود مكاتب ضريبية في مناطق البترا وأذرح يدل دلالة واضحة على وجود مجتمعات مستقرة داخل هذه المدن.

تتحدث البردية (رقم ٨٣) والتي تؤرخ إلى عام ٥٤٤م عن وجود حاكم غساني يدعى (أبو كرب) قام الإمبراطور البيزنطي جستنيان بتعيينه فيلارخا[٢٢] على ولاية فلسطين الثالثة (Procopius, 1914: 1.19.10)[٢٣]، ولا زالت سنة التحالف البيزنطي الغساني موضع خلاف بين الباحثين، فالمؤرخ البيزنطي بروكوبيوس

---

(٢١) البرديات رقم ٢٦ و ٦٠ و ٧١.

(٢٢) فيلارخ (Φύλαρχος) لقب إداري رسمي، أصله يوناني، أما رديفه اللاتيني فهو (tribunus)، أصبح هذا اللقب في نهاية القرن الرابع الميلادي - كما يذكر عرفان شهيد - اللقب المميز لشيخ القبيلة العربي الذي يتحالف مع البيزنطيين. Shahid, 1984, 31 أو كما يذكر سارتر (Sartre) اللقب المميز لشيخ السراسنة. Mayerson, 1991, 291، وقد أستمر استخدام هذا اللقب من القرن الرابع الميلادي حتى القرن السابع الميلادي. Shahid, 2002, Vol 2, 515

(٢٣) عثر على اسم هذا الفيلارخ مكتوباً على وثيقة سريانية في منطقة النبك (تقع بين تدمر ودمشق)، وتبين هذه الوثيقة أن (أبو كرب) كان أحد المدافعين عن الكنيسة المونفستية وأصحاب مذهب الطبيعة الواحدة، ولا تشير الوثيقة إلى (أبو كرب) كفيلارخ بل كملك. انظر: Shahid, 2002, Vol 2, 28

يؤكد أن البيزنطيين أقاموا تحالفاً مع القادة الغساسنة الحارث وأبو كرب، وبالرغم من أن بروكوبيوس لم يذكر أن هؤلاء القادة إخوة وهم أبناء جبلة[٢٤] إلا أن هذه المعلومات تؤرخ إلى عام (٥٢٩/ ٥٣٠م)، وهي تعطي أول دليل واضح على وجود علاقة تحالف بين الغساسنة والبيزنطيين(نولدكه، ١٩٣٣م : ٥). أما المؤرخ البيزنطي ثيوفانس فيؤكد أن التحالف بين الغساسنة والبيزنطيين كان سنة (٥٠٢/٣م) (Theophanes, 1997:1. 144). حيث يقول: "في هذه السنة قام أنستاسيوس بعقد حلف مع الحارث (Arehas) والمعروف بابن ثعلبة... حيث تمتعت فلسطين والولاية العربية وفينيقيا بسلام وهدوء كبير" (Theophanes, 1997: 1. 144). ومن المهم القول أنه ربما وجدت علاقة تحالف مبكرة بين الغساسنة والبيزنطيين قبل الإمبراطور جستنيان وعلاقته مع الحارث و(أبو كرب).

ويبدو أن تعيين (أبو كرب) فيلارخا قد تزامن مع تعيين أخاه الحارث أيضا فيلارخا، ومن المؤكد أنه تم تعيينهما بعد وفاة والدهما جبلة[٢٥]، وقد قدم لنا بروكوبيوس وصفا جغرافيا للمنطقة التي سيطر عليها الفيلارخ أبو كرب، فعندما وصل إلى شاطئ خليج أيلة، أعلن من هناك سيطرته على "السراسنة[٢٦] الذين استقروا منذ فترة طويلة في بساتين النخيل" (Procopius, 1914: 1.19.8-9). ويحدد بروكوبيوس هذه البساتين بالقرب من البحر[٢٧]، ويذكر أنها تتكون من منطقة كبيرة قُدمت هدية من الإمبراطور جستنيان إلى (أبو كرب) (Procopius, 1914, 1.19.8-9).

لقد تم تعيين حاكم القبائل في هذه المنطقة فيلارخا على "السراسنة في فلسطين" (Procopius, 1914: 1.19.10-11)، ويظهر أن (أبو كرب) قد امتدت سيطرته على جميع القبائل في فلسطين، كما ورد اسم الفيلارخ (أبو كرب) في البرديات ثلاث مرات، الأولى في مذكرات استفيانوس، والمرة الثانية في تسجيلات ثيودورس، والمرة الثالثة في تسوية نزاع بين شخصين (Koenen, 1996: 187).

كما أن البردية رقم (٨٣) التي تعتبر من أكبر البرديات التي عُثر عليها محفوظة بشكل جيد في كنيسة

---

(٢٤) من المعروف أن (أبو كرب) والحارث كانا إخوة تم التعرف على ذلك من خلال نقش عثر عليه على عتبة باب في كنيسة القديس جورج في قرية سامح التي تقع على بعد ١٧كم شمال غرب السويداء في حوران،. Shahid, 2002, Vol 2, 153. يظهر ان كاتب النقش «يسأل الله أن يحفظ الفيلارخ (أبو كرب) فيلارخ فلسطين الثالثة وأخاه الحارث». 153Ibid, p.

(٢٥) يقترح عرفان شهيد أن تعيين (أبو كرب) فيلارخا كان حوالي عام (٥٢٨م). Shahid, 1984,126.

(٢٦) مشتقة من الكلمة اليونانية (Sarakenoi)، وهي تطابق كلمة (Saracni) اللتينية، وقد كان خلال الفترة الرومانية يستخدم لتمييز المجموعات البدوية الذين كانوا يعيشون بين العرب، Graf, 1978,14. وهذه الكلمة مرادفة عند المؤرخ إميانوس مارسلينيوس في القرن الميلادي الرابع لكلمة سكينتاي (Scenitae) أي سكان الخيام. Ammianus Marcellinus, 1956, 14.8.5. ويقول عرفان شهيد: إن لقب سراسنة لم يكن معروفاً خلال الفترة الهلنستية، وإنه ظهر خلال الفترة الرومانية للتميز العرب أو بعضهم. انظر: Shahid, 1984, 29.

(٢٧) اختلف في تحديد موقع هذه المنطقة التي سيطر عليها أبو كرب، فقد بين بروكوبيوس أنها تقع على بعد رحلة (١٠) أيام من الأراضي الإمبراطورية، إلا أن هذه العبارة لا تساعدنا على تحديد موقع دقيق لهذه البساتين، خاصة وأنه لم يذكر رحلة اما على ظهر الجمال أو الخيول، ولكنه من المؤكد أنه يعني أحد بساتين النخيل في شمال الحجاز. Musil, 1926,308.

البترا، تتحدث عن وجود خلاف بين شخصين حول عين ماء موجودة في منطقة الصدقة، وجر مياهها عبر أراضي أحد الاشخاص، وقد حل هذا النزاع عن طريق تدخل الوسطاء، وتؤرخ هذهِ البردية إلى عام (٥٧٤م) (Peterman, 1994: 55-57).

ويؤكد كثير من الباحثين أن القوة العسكرية البيزنطية قد ضعفت خلال القرن السادس الميلادي مما سمح للقوى المحلية بالصعود خلال هذه الفترة، من بين هذه القوى الغساسنة الذين ازدادت قوتهم خلال القرن السادس الميلادي[٢٨]. ولكن مع بقاء القوات البيزنطية في مناطق مختلفة من جنوب الأردن بما فيها البترا، يظهر ذلك من خلال برديات البترا، التي تؤكد الوجود البيزنطي حتى - تقريبا فترة كتابتها - وبقاء الجنود البيزنطيين يقومون بمهامهم خلال فترة القرن السادس الميلادي[٢٩]. فالبردية رقم (٦٩) تتحدث عن وجود ضريبة عينية تقدم للجنود، وهي تشبه ضريبة (annona)[٣٠]، ويظهر في البردية بعض المصطلحات مثل: انتزع أو طلب، التي تدل على أن هذهِ الضريبة ربما كانت تؤخذ عنوة من المواطنين، وقد تكونت هذهِ الضريبة من بعض المواد الغذائية مثل النبيذ واللحم (Frösên, Arjava, and Lehtinen, 2002: 72). فعلى سبيل المثال هناك أربعة وصول ضريبية تؤرخ إلى الأعوام ٥٦٨م، ٥٧٠م، ٥٧٥/٥٧٦م، ٥٧٨م، يرد في هذه الوصول وجود ضريبة إضافية فُرضت على السكان المحليين تكونت من وحدة من اللحم ووحدتين من النبيذ (Fiema, 2007: 306).

وعلى ما يبدو فإن مدينة البترا لم تهجر خلال القرن السابع الميلادي، ولكنها بقيت منطقة زراعية، وأصبحت أفقر من ذي قبل، وربما هذا يفسر لنا عدم ذكر البترا في روايات الفتح الإسلامي لمنطقة جنوب الأردن.

ومما يلاحظ على البرديات استمرار وجود الثقافة النبطية في البترا خلال القرن السادس الميلادي، ففي البردية رقم(٤)[٣١] التي كتبت أو حررت في مدينة غزة في فلسطين، وهي البردية الوحيدة التي كتبت خارج البترا، تذكر اسم شخص يدعى دوساريوس (Frösên, Arjava, and Lehtinen, 2002: 72)، هذا الشخص امتلك أراضٍ زراعية في ولاية فلسطين الأولى في غزة، وتحدد البردية قيمة الضريبة المفروضة على هذهِ الأراضي بالعملة البيزنطية (solidi)[٣٢]. ومن الأمور الاقتصادية

---

(٢٨) لم يكن الغساسنة هم أول الحلفاء (federate) مع الدولة البيزنطية، بل سبقتهم قبيلة تنوخ وسليح إلى ذلك خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين على التوالي. بشأن هذا التحالف انظر: النصرات، ٢٠٠٩، ١٦٢-٢٠٦. بالإضافة إلى مؤلفات عرفان شهيد حول العلاقة ما بين القبائل العربية والدولة البيزنطية.

(٢٩) يرى بعض الباحثين أن الازدهار الذي حدث في منطقة جنوب الأردن خلال فترة القرن السادس الميلادي لا يمكن أن يعزى لوجود الغساسنة بل إن البيزنطيين هم أصحاب الفضل في هذا الازدهار. انظر: Caldwell, 1993, 33

(٣٠) كلمة لاتينية تعني المحصول السنوي، أو تكاليف المعيشة. انظر: Charles, 1957, p.42.

(٣١) تؤرخ هذه البردية إلى السنة (١٢) من حكم الامبراطور البيزنطي جستنيان(٥٢٧-٥٦٥م) أي أنها تعود إلى سنة ٥٣٩م.

(٣٢) كلمة لاتينية تعني العملة الذهبية التي تم سكها زمن الامبراطور الروماني قسطنطين الأول عام ٣٠٩م، وبقيت تستخدم في الامبراطورية البيزنطية حتى القرن العاشر الميلادي. وقد تم صك عملة Solidi بعد أن تم الانتهاء من العمل بعملة (Aureus) كعملة ذهبية رئيسية في الامبراطورية البيزنطية. لقد كانت عملة Solidi تساوي ١/٧٢ من الباوند الروماني (أي حوالي ٥ ,٤ غرام). انظر: Kazhdan, 1991, Vol III, p. 136.

المهمة التي تظهر في هذه البردية وجود وظيفة القيم أو الوصي العام (General Curator)، وهذا القيم – الذي لا تذكر البردية اسمه – كان يشرف على أملاك ثيودورس الذي لا يزال قاصراً، وكان هذا الوصي من كبار موظفي الدولة (Frösên, Arjava, and Lehtinen, 2002: 67). كما تتحدث البرديات عن شيوع نظام الحماية أو الإلجاء (Patrocinium) الذي يقضي بتنازل صغار الملاك عن أراضيهم لكبار الملاك، مقابل حمايتهم من جباة الضرائب (Frösên, Arjava, and Lehtinen, 2002: 72).

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن وجود أشخاص من البترا يمتلكون أراضٍ زراعية في غزة يدل دلالة واضحة على مقدار الثراء الذي تمتعت به عائلة ثيودورس في البترا، التي مكنها ثراؤها من شراء أراضٍ في مناطق بعيدة عن أماكن استقرارهم. مما يعني أن البترا خلال القرن السادس الميلادي ما زالت تتمتع بوجود عائلات غنية، ووجود استقرار داخل هذه المدينة، خاصة أن هذه البرديات لم تتطرق للحديث عن التجارة في المدينة خلال هذه الفترة.

ويتضح من خلال نصوص البرديات استخدام السكان المحليين للأسماء العربية[٣٣] التي أطلقوها على أراضيهم وبساتينهم مثل «جنة السلام» (Gannath al-Salam) والذي يشير إلى بستان فاكهة موجود في البترا (Bikai, and Egan, 1996: 507-53)، و«دار العباد» (Dara al-Ebad) في الإشارة إلى أسماء أحد المنازل في البترا (Bikai, and Egan, 1996:535). وهذا يعني أن السكان المحليين آثروا تسمية بيوتهم ومنازلهم بلغتهم المحلية، حتى لو أنهم كانوا يستخدمون اللغة اليونانية كلغة رسمية في تعاملاتهم. بالإضافة إلى ذلك فإن كثيراً من الأسماء التي ظهرت في البرديات والتي تخص عائلة ثيودورس تعود جذورها إلى النبطية، فوالد ثيودورس وبعض أفراد عائلته – ربما أخوه – يدعون عبادينوس (Obodianos) (وهذا الاسم أيضاً يعود لشخصين ورد اسمهم في البرديات)، وهو مشتق من الاسم عبادة (الشكل اليوناني – اللاتيني bdt')، وقد سمي بهذا الاسم ثلاثة من ملوك الأنباط خلال القرن الأول قبل الميلاد وهم عبادة الأول (٩٦–٨٥ق.م)، عبادة الثاني (٦٢–٥٩ق.م)، عبادة الثالث (٣٠–٩/٨ق.م) (النصرات، ٢٠٠٧:٣٠١؛ Koenen, Daniel and Gagas, 2003,255). كما أن عم ثيودورس يدعى دوساريوس (Dusarios)، وهو مشتق من اسم الالهة النبطية ذو الشرى (باليونانية Dusarës) (Koenen, Daniel and Gagas, 2003:255).

وتتحدث البردية رقم (١٠) عن مجموعة من عيون المياه الموجود بالقرب من البترا، وهي عين البصة، وعين الرفيد، وعين البريكة، بالإضافة إلى ذكرها أسماء الأراضي الزراعية التي ما زالت تستخدم من قبل السكان المحليين مثل أم لوزا والرفيد (Bikai and Egan,1996, 512).

ومن الأمور التي تتحدث عنها البرديات الجوانب الاجتماعية في مدينة البترا خلال القرن السادس الميلادي، فالبردية رقم (٦) تتحدث عن العروس التي تدعى كيرا (Kyra) وتوقيعها على عقد الزواج الخاص بها وموافقتها على الزواج، بالرغم من وجود والدها الذي يدعى جورجيوس (Gergios) (Koenen, 1996: 181). مما يعطي أهمية عن وضع المرأة العربية المميز خلال الفترة البيزنطية.

---

(٣٣) لمعرفة المزيد عن استخدام اللغة العربية في البرديات، وفي كتابة النقوش في الفترة التي سبقت الاسلام. انظر: Al-Ghul, 2004, 105-118.

كما أن البردية رقم (٦٧) والتي تؤرخ إلى عام (٥٣٧م) تتحدث عن زواج شخص يدعى ثيودورس من فتاة غنية تدعى إستيفانوس وتذكر البردية أن ثيودورس كان قاصراً، ولذلك كان هناك شخص وصي مسؤول عنه يدعى أوستاثيوس (Eustathios)، كما تذكر البردية طبيعة المهر الذي أعطي للعروس ويتمثل في قطعة من الأرض الزراعية، بالإضافة إلى ١٠٠ قطعة من الذهب وكمية من الملابس، وتحدد وصية والد العروس ويدعى "باتروفيلس" أنه في حالة وفاته فإن جميع ممتلكاته ترثها ابنته إستيفانوس (Kaimio and Koenen, 1997: 459-462). لكن للأسف لم يتم العثور على عقد الزواج بين أوراق البردي التي وجدت في الكنيسة.

ومن الأهمية التأكيد على أن معظم البرديات التي عثر عليها في كنيسة البترا، هي عبارة عن عقود موثقة وغير موثقة، تتعلق بالأراضي الزراعية الموجودة في منطقة البترا والمناطق المجاورة لها مثل: أذرح والحميمة والصدقة، من خلال تأجير هذهِ الأراضي أو التخلي عنها بسبب بيعها أو شرائها أو اقتسام الأملاك بين الورثة، أو إعطاء هذه الأرض مهراً للعروس عند الزواج، وقد نظمت بعض هذه العقود خارج أسوار المحكمة، عن طريق وجود محكمين أو وسطاء بين أصحاب هذهِ الأراضي. كما أن بعض هذهِ البرديات تضمن تقارير شراء أراضٍ زراعية، أو وصول دفع ضريبة، أو تقارير نقل ملكيةً من شخص إلى آخر، أو رهن بعض الأشخاص لأراضيهم لصالح أشخاص آخرين.

فالبردية (رقم ٦) التي تتحدث عن تبرع أحد المحسنين قبل وفاته بجميع أملاكه التي كانت تضم بساتين فاكهه وإسطبلات إلى أحد الأشخاص، وقد نُظم ذلك التبرع بعقد تجاري، أشترط فيه أن يرعى هذا الشخص أمه ما دامت على قيد الحياة (Koenen, 1996: 183).

كما تحدثت البرديات عن وجود العديد من الوظائف والمهن في البترا خلال القرن السادس الميلادي، مثل: الخياطين والجنود والعبيد والأطباء، وبما أن الفترة التي تتحدث عنها البرديات هي الفترة المسيحية، فإنه يصادفنا الكثير من أسماء القساوسة والكهنة وشماسنة الكنيسة وبعض أسماء الأساقفة المحليين (Koenen, 1996: 183). كما تظهر أيضاً بعض العادات الدينية المتعلقة بالدين المسيحي في البترا مثل: إشعال الشمع من أجل مغفرة الخطايا والآثام (Koenen, 1996: 184).

ولكن مما يلاحظ على هذه البرديات أنه بالرغم من سمعة البترا وشهرتها كمدينة للقوافل ومحطة تجارية، إلا أنه لا يرد ذكر للتجارة في أي من البرديات المكتشفة، وتذكر الزراعة فقط باعتبارها النشاط الإقتصادي الأهم. ولكن يجب أن نتذكر أنه في نهاية القرن السادس الميلادي، يكون قد مضى على البترا حوالي (٥٠٠) سنة منذ أن كانت في أوج مجدها الاقتصادي كمحطة تجارية على الطريق التجاري الرئيسي الذي يربط الجزيرة العربية جنوباً بسوريا في الشمال، ومصر وفلسطين وجميع مناطق البحر المتوسط. ويبدو أن سبب ذلك يرجع إلى طبيعة النشاط الاقتصادي الذي تمارسه عائلة ثيودورس التي تمتلك هذه البرديات. ويجب أن نتذكر أن طبيعة الشعب النبطي منذ أن ظهر على مسرح التاريخ عام (٣١٢ق.م) أهتم بالزراعة والتجارة جنباً إلى جنب. ولكن بعد أن عادت التجارة إلى الحياة في القرن الرابع الميلادي، عادت إلى الانحطاط خلال القرن السادس الميلادي، ونلحظ أن هناك اهتماماً بالزراعة في

المناطق المجاورة للبترا، وأن العائلات الكبيرة والغنية اهتمت بالأراضي الزراعية وتأجيرها خلال فترة القرن السادس الميلادي، ربما كبديل عن الناحية التجارية (Fiema, 2002:215).

وقد أكدت الحفريات الأثرية التي قامت في منطقة البترا المعلومات التي وردت في البرديات، حول طبيعة الاستيطان والاستقرار البشري في البترا وجوارها. فقد بينت المسوحات الأثرية التي رافقت مشروع أنابيب الصرف الصحي في وادي موسى وجود العديد من المواقع الأثرية التي تم استيطانها خلال القرن السادس الميلادي والتي لم تكن معروفة مسبقاً (Amr, Al- Momani, Farajt, and Falaht, 1998: 539-540). كذلك أظهرت التنقيبات الأثرية في وسط مدينة وادي موسى وجود تتابع سكني في وسط المدينة دام حتى نهاية الفترة البيزنطية، وانقطع خلال الفترة الإسلامية المبكرة، والذي عاود إلى الظهور خلال الفترات المملوكية والعثمانية (عمرو، ٢٠٠٣: ٣٦). كما كشفت حفريات دائرة الآثار العامة عن وجود (١٢) فرن لتصنيع الفخار النبطي في منطقة الزرابة في وادي موسى، أعيد استخدامها خلال الفترة البيزنطية، في القرنين الخامس والسادس الميلاديين (Amr, 1991: 313-323). وربما يؤكد هذا استمرار الحضارة والهوية النبطية بعد انتهاء الوجود السياسي للمملكة النبطية بأكثر من أربعة قرون (عمرو، ٢٠٠٣: ٣١).

كما دلت المسوحات أيضاً التي قامت في الجهة الجنوبية الشرقية من أذرح في منطقة تل الطاحونة على بقايا مستوطنة بشرية تعود إلى نهاية الفترة البيزنطية (حوالي القرن السادس الميلادي)، بالإضافة إلى وجود العديد من قطع الفخار الذي يؤرخ لهذه الفترة (Killick, 1983:110-131).

وفي منطقة الحمام إلى الجنوب الشرقي من أذرح باتجاه معان، دلت الحفريات الأثرية على أن الموقع أقيم خلال فترة القرن الرابع الميلادي، وقد احتوى الموقع العديد من الخزانات والقنوات المائية التي يعود تاريخها إلى منتصف القرن السادس الميلادي (Fiema, 1991:220).

وقد عثر على نقشين يونانين في منطقة الربة في الكرك، النقش الأول يشير إلى إعادة أصلاح مبنى تم تدميره بعد زلزلال هز المنطقة تقريبا عام (٥٩٧م)، وكان الأسقف في المنطقة يدعى جون (John)، أما النقش الثاني فيشير إلى بناء مبنى ربما كان كنيسة، يؤرخ النقش إلى عام (٦٨٧م)، يشير النقش إلى نقل الأسقفية المسيحية من مدينة البترا عاصمة ولاية فلسطين الثالثة البيزنطية (Palestine Tertia) إلى الربة في الكرك، وقد حدث ذلك بعد الفتح الأسلامي لمنطقة جنوب الأردن بفترة قصيرة (Schick, 1994:142). وإلى الجنوب الشرقي من البترا في منطقة القاع تم العثور على ستة مواقع بيزنطية، تتكون من مجموعة من المزارع والآبار التي يعود استخدامها إلى منتصف القرن السادس الميلادي (Caldwell, 1993: 18).

كما شهدت المنطقة الواقعة إلى الشرق من أذرح إستيطان بشري واضح خلال القرن السادس الميلادي (Fiema, 1991:219). وبالقرب من أذرح شهدت منقطة الجرباء استيطانا بشريا خلال القرن السادس الميلادي، خاصة تلك المناطق القريبة من عين الماء الموجودة في الجهة الغربية من التل، بالإضافة إلى وجود بقايا طريق يربط ما بين أذرح والجرباء، وبالقرب من عين ماء وادي عشار تم العثور على مستوطنة بشرية تعود للفترة البيزنطية، وقد دلت بقايا الفخار الموجود هناك على أن هذه المنطقة شهدت استيطانا خلال فترة القرنين الخامس والسادس الميلاديين.

- ألقاب مدينة البترا خلال القرن السادس الميلادي.

مُنحت البترا خلال القرن السادس الميلادي لقباً رسمياً من قبل الإمبراطور البيزنطي جستنيان «البترا المستعمرة الإمبراطورية انطونينا النبيلة أم المستعمرات بترا الهدريانية عاصمة فلسطين الثالثة» (Frösên, Arjava, and Lehtinen,2002:35,45,47,55)[٣٤]. هذا اللقب يدل على تاريخ طويل لمدينة البترا منذ أن سيطر عليها الرومان عام ١٠٦م.

ويدل منح هذا اللقب على الأهمية التي تمتعت بها المدينة خلال هذه الفترة، كما يظهر أن هذا اللقب الفخم يحدد قيمة تاريخ المدينة منذ سيطرة الرومان عليها عام (١٠٦م). ففي عام (١١٤م) منحت البترا لقب تكريمي» عاصمة الولاية العربية» (Metropolis of Arabia) (Bowersock, 1983: 84-85)، فقد عثر على نقش مكتوب فوق قوس النصر الذي أقيم على شرف الإمبراطور الروماني تراجان، يذكر أنه منح البترا هذا اللقب.

كما أن البترا مُنحت أيضا لقب «هدريانية» (Hadriana)، من قبل الإمبراطور الروماني هدريان خلال زيارته للمدينة عام (١٢٩/ ١٣٠م). ومن المهم القول إن هذا اللقب ظهر فقط من خلال النقود التي سكها بعد الزيارة (Spijkerman, 1978:220-235). ويرى فيليب هاموند (Ph. Hammond) أن هذه الزيارة تدل على أهمية البترا في عهد الإمبراطور هدريان، خاصة أنه سمح بسك عملة خاصة بها (Hammond, 1973: 56). بالإضافة إلى أن الرومان لم يهملوا مدينة البترا، خاصة أنها تمثل مركزاً إستراتيجياً مهماً لحماية الطرق التجارية بين الجزيرة العربية ومصر وسوريا (Bowersock, 1984:134).

أما عن لقب "أم المستعمرات" (Mother of Colonies) فقد منح للمدينة في القرن الثالث الميلادي، مضافاً إليه لقب "العاصمة" (Metropolis)(Millar, 1990: 7-10). وقد ظهر هذا اللقب عام ١١٤م على نقش خاص يحمل اسم كلاوديوس سيرفوس (Claudius Servus) (١٠٧-١١٥م) أول حكام للمقاطعة العربية بعد ضم البترا عام ١٠٦م (Bowersock, 1983: 84-85)، كما ظهر لقب العاصمة أيضاً في وثائق أرشيف باباثا (الوثيقة رقم ١٤) (Fiema, 2002: 214). وفي عهد الإمبراطور الروماني أيلاغابالوس منحت البترا لقب «المستعمرة» (Colonia) (Spijkerman, 1978:220-235). وربما كان هذا اللقب نوعاً من التشريف للمدينة، كما أن مدينة بصرى في سوريا منحت أيضاً اللقب نفسه في عهد الإمبراطور الكسندر سيفروس (Alexander Severus) (٢٢٢-٢٣٥م) (Bowersock, 1971: 23, Bowersock, 1983, 121). وهذا يعني أن المدينتين كان لهما منزلة واحدة في الولاية الرومانية، ولكن هذا الاستنتاج لا يوجد ما يدعمه. وبقيت البترا تمثل مركزاً عسكرياً مهماً للرومان، حتى القرن الثالث الميلادي (Zayadine and Fiema, :1986, 205).

أما لقب «النبيلة» (Noble) فما زال غير واضح، ومختلف في ترجمة الكلمة اليونانية، وهناك ترجمة بديلة لهذه الكلمة والتي تعني «مقدسة» (Holy)، وهو لقب فريد تميزت به البترا. والجدير بالذكر أنه لا يمكننا تأكيدُ المعنى المحدد الذي قصده كاتب البرديات من هذه الألقاب (Zayadine and Fiema,, 1986: 215).

إن وجود لقب مدينة البترا في البرديات لا يبين فقط مدى ارتباط هذه المدينة بالدولة البيزنطية، بل أيضاً يبين تقاليد وتاريخ هذه المدينة. كما أن وجود أسماء مناطق في

---

(٣٤) انظر البردية رقم(٦٧) ،(٢-٣). كذلك البردية رقم (٦٨).

البترا باللغة العربية -البردية رقم (١٠)- يوضح أيضاً استمرار بقاء استخدام اللغة والأسماء العربية النبطية حتى القرن السادس الميلادي (Zayadine and Fiema,, 1986: 215).

الخاتمة

يمكن القول من خلال ما تقدم عرضه إن اكتشاف البرديات في كنيسة البترا عام ١٩٩٣ قد كشف عن العديد من المظاهر الاقتصادية المهمة في البترا وجوارها خلال الفترة البيزنطية، مثل: طبيعة الضرائب المفروضة، والعملة المتداولة بين السكان المحليين، وتقسيم الأملاك الزراعية بين الأخوة، بالإضافة إلى توزيع الأرث والمكاييل والأوزان المستخدمة. وبقاء الاستقرار البشري في المدينة خلال القرن السادس الميلادي. كما كان للبرديات دور مهم - أيضاً- في الكشف عن بعض المظاهر الاجتماعية الموجودة في المدينة خلال الفترة البيزنطية، إلا أن المعلومات التي وردت في هذه البرديات لم توضح لنا - حتى الآن - سبب عدم ذكر البترا في روايات الفتح الإسلامي لمنطقة جنوب الأردن، وعدم ذكر وجود وفد من البترا وقع اتفاقية صلح مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - مثل وفدي أذرح والجرباء القريبتين من البترا.

كما أن هذه البرديات تعتبر أهم المصادر التاريخية التي تتحدث عن البترا خلال الفترة البيزنطية، نظراً لقلة المعلومات وقلة المصادر التاريخية خلال هذه الفترة، يضاف أن هذه النصوص البردية المكتشفة في البترا عام (١٩٣٣م)، تمثل أكبر مادة مكتوبة وجدت في الأردن خلال العصور القديمة أو التاريخية.

المختصرات

ADAJ:	Annual of the Department of Antiquities of Jordan.
AJA:	American Journal of Archaeology
BA:	Biblical Archaeologist.
BASOR:	Bulletin of the American Schools of Oriental Research.
JAOS:	Journal of the American Oriental Society.
JRA:	Journal of Roman Archaeology.
JRS:	Journal of Roman Studies.
NEA:	Near Eastern Archaeology.
SHA:	Studies in the History of Arabia.
SHAJ:	Studies in the History and Archaeology of Jordan.
ZPE:	Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik.
ZDPV:	Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins

المراجع

أولاً: المراجع العربية

ابن سعد، أبو عبدالله محمد بن سعد البصري(٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، **الطبقات الكبرى**، ٩ج، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.

حمارنة، صالح، **الناس والأرض: دراسات في جنوب بلاد الشام في القرون الثلاثة الهجرية الأولى**، دار البشير، عمان، ١٩٩١.

الحموي، ياقوت (٦٢٣هـ/ ١٢٢٥م)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت،١٩٨٦.

الخيري، نبيل، «**عناصر حضارية بيزنطية في حفريات البترا لعام ١٩٨١**»، **المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام (بلاد الشام في العصر البيزنطي)**، مج١، عمان،الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك، ١٥-١٩ تشرين أول ١٩٨٣، ١٩٨٦. ٤٧-٩٤.

عمرو، خيرية، الإنسان والأرض في وادي موسى عبر العصور، **التاريخ الاجتماعي لمنطقة البترا وجوارها الاستمرارية والتغير**، تحرير باسم الطويسي، بيت الأنباط، البترا، ٢٠٠٣.

النصرات، محمد ، **مملكة الأنباط، التاريخ السياسي/ الأنباط**، بيت الأنباط، البترا، ٢٠٠٧م.

النصرات، محمد، **تاريخ جنوب الأردن خلال الفترة البيزنطية من القرن الرابع الميلادي حتى القرن السابع الميلادي (من وادي الحسا شمالا حتى خليج أيله (العقبة) جنوبا)**، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩م.

النصرات، محمد والنعيمات، سلامة، "المصادر التاريخية لدراسة تاريخ جنوب الأردن خلال الفترة البيزنطية (٣٢٤-٦٣٦م)"، ***المجلة الأردنية للتاريخ والآثار***، المجلد الثالث، العدد الثاني، ٢٠٠٩، ١-٣٨.

نولدكه، ثيودور، **أمراء غسان**، تعريب بندلي جوزي وقسطنطين زريق، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٣.

هنتس، فالتر، **المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، ترجمة كامل العسلي، الطبعة الثانية، روائع مجدلاوي، ٢٠٠١.

الواقدي، محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، **المغـازي**، ٣ج، (تحقيـق مارسدن جونس)، اوكسفورد، ١٩٦٦.

ثانياً: المراجع الأجنبية

Al-Ghul, O, An early arabic inscription from Petra carrying diacritic marks. In: ***Syria***. Tome 81, 2004, 105118-.

Ammianus Marcellinus, **Res Gestae**, 3rd, 3 Vols, J.C. Rolfe, (Ed), (1935, 1939), Cambridge, Harvard University Press, 1956.

Amr, K, «Preliminary Report on the 1991 Season at Zurrabah», **ADAJ**, 35, 1991, 313323-.

Amr, K, Al- Momani, A, Farajt, S, and Falaht, H, «Archaeological Survey of the Wadi Musa Water Supply and Wastewater Project Area», ***ADAJ***, 42, 1998, 503548-.

Arjava, A, Buchholz, M and Gagos, T, **The Petra Papyri III**, American center of Oriental Research, 2007.

Bikai, P, Petra Church Project, «Petra Papyri», ***ADAJ***, 30, 1996, 487- 489.

Bikai, P, and Egan, V, «Archaeology in Jordan», ***AJA***, 100, 1996, 507535-.

Bowersock, G, «A Report on Arabia Provincia», ***JRS***, 61, 1971, 219-242.

Bowersock, G, **Roman Arabia**, Cambridge, MA, Harvard University Press, 1983.

Bowersock, G," Nabataeans and Romans in the Wadi Sirhan", ***SHA***, 11, 1984, 133-136.

Caldwell, R, **Between State and Steppe: New evidence for Society in Sixth Century Southern Trans Jordan**, PhD thesis, University of Michigan, 1993.

Charles, J, **Latin English** – Dictionary, Funk and Wagnalls, New York, 1957.

Daniel, R, "The Petra Papyri in Historical Perspective: The Dating Formulas", ***ACOR Newsletter***, Vol 8.2, 1996, 1-4.

Downey, Susan, "Petra Rediscovered: An Exhibition on Petra and Nabataean Sanctuaries in Jordan", ***AJA***, 109, 2005, 784-787.

Fiema, Z, **Economics, Administration and Demography of Late Roman and Byzantine Southern Tran Jordan**, Unpublished Doctoral Dissertation, University of Utah, USA, 1991.

Fiema, Z, "The Roman Street of the Petra Project, 1997 A Preliminary Report", ***ADAJ***, 42, 1998, 395-424.

Fiema, Z, Late -Antique Petra and its Hinterland: Recent Research and New Interpretations. In: N. Humphrey. J. H. Portsmouth(Ed), **The Roman and Byzantine Near East**, 191-254, Rhode Island, 2002, 195-225.

Fiema, Z, The Byzantine Military in the Petra Papyri: A Summary, Papers of the International Conference,

of Cultural Relations, in Solin, H and Kajava, M, eds. **Roman Eastern Policy and Other Studies in Roman History**. Commentations Humanarum Litterarum, 1990, 7-57.

Musil, A, **The Northern Hijaz: A Topographical Itinerary**, New York, Ch. Crane, 1926.

Peterman, Glen, «Conservation of the Petra Papyri», ***BA***, 57, 4, 1994, 242-243.

Procopius, **History of the Wars**, 7 Vols, Harvard University Press, London, 1914.

Russell, K, "The Earthquake Chronology of Palestine and Northwest Arabia from the 2nd through the Mid-8th Centuries", ***BASOR***, 260, 1985, 37-59.

Al-Salamin, Z, Twaissi, S, and Abudanah, F, "Preliminary Report on the Archaeological Investigations of as- Sadaqa, Southern Jordan", ***ADAJ***, 52, 2007, 397-416.

Schick, R, The Settlement Pattern of Southern Jordan: The Nature of the Evidence, **in the Byzantine and Early Islamic in Near East "Land Use and Settlement Patterns"** edited by: G.R.D King and Averil Camron. Vol. II, 1994, The Darwin Press, Princeton.

Shahid, I, **Rome and Arabs: A Prolegomenon to the Study of Byzantium and the Arabs**. Washington, D.C., Dumbarton Oaks, 1984.

Shahid, I, **Byzantium and the Arabs in the Sixth Century**, 2 Vols. Washington, D.C., Dumbarton Oaks, 2002.

Spijkerman, A, **The Coins of the Decapolis and Provincia Arabia**, Jerusalem, 1978.

Theophanes, **Chronographer**, trans. By, Cyril Mango and Roger Scott, Clarendon Press, Oxford, 1997.

Traianos, G and Frösên, J, "Petra Papyri", ***ADAJ***, 32, 1998, 473481-.

Watson, P. (2001), The Byzantine Period. In: Burton. MacDonald, Russell. Adams and Piotr. Bienkowski (Ed). **The Archaeology of Jordan**, Sheffield, Sheffield Academic Press, 2001.

Zayadine, F, «Recent Excavations and Restoration at Qasr al-Bint of Petra», ***ADAJ***, 29, 1985, 239-249.

Zayadine, F, Fiema, Z, "Roman Inscriptions from the Siq of Petra: Remarks on the Initial Garrison of Arabia", ***ADAJ***, 30, 1986, 199-266.

The Late Roman Army in the Near East From Diocletian Until the Arab Conquest, BAR International Series,Oxford,2007, .

Frösên, J, «Archaeological Information from the Petra Papyri», ***SHAJ***, 8, 2004, 141144-.

Frösên, J, Arjava, A, and Lehtinen, M, **The Petra Papyri I**, American Center of Oriental Research, Amman, 2002.

Graf, D, «The Saracens and the Defense of the Arabian Frontier», **BASOR**, 229, 1978, 1-26.

Hammond, Ph, "New Evidence for the 4th- Century A.D. Destruction of Petra», **BASOR**, 328, 1980, 65-67.

Kaimio, M and Koenen, L, "Reports on Decipherment of Petra Papyri (1996/97)", ***ADAJ***, 41, 1997, 459-462.

Kazhdan, A., **The Oxford Dictionary of Byzantium**, New York, Oxford University Press, 1991.

Killick, A, "Udruh- the Frontier of an Empire, 1980 and 1981 Seasons, A Preliminary Report", ***Levant***, 15, 1983,110-131.

Killick, A. Udruh and the Southern Frontier, **The Defense of the Roman and Byzantine East**, BAR International Series 297, Freeman. Philip and Kennedy. David (Ed): Proceedings of a colloquium held at the University of Sheffield. Oxford April 1986, 431-446.

Koenen, L, "The Carbonized Archive from Petra", ***JRA***, 9, 1996, 181-188.

Koenen, L, Daniel, R and Gagas, T, Petra in the Sixth Century: The Evidence of the Carbonized Papyri, **Petra Rediscovered: Lost City of the Nabataeans**, The Cincinnati Art Museum, New York, 2003.

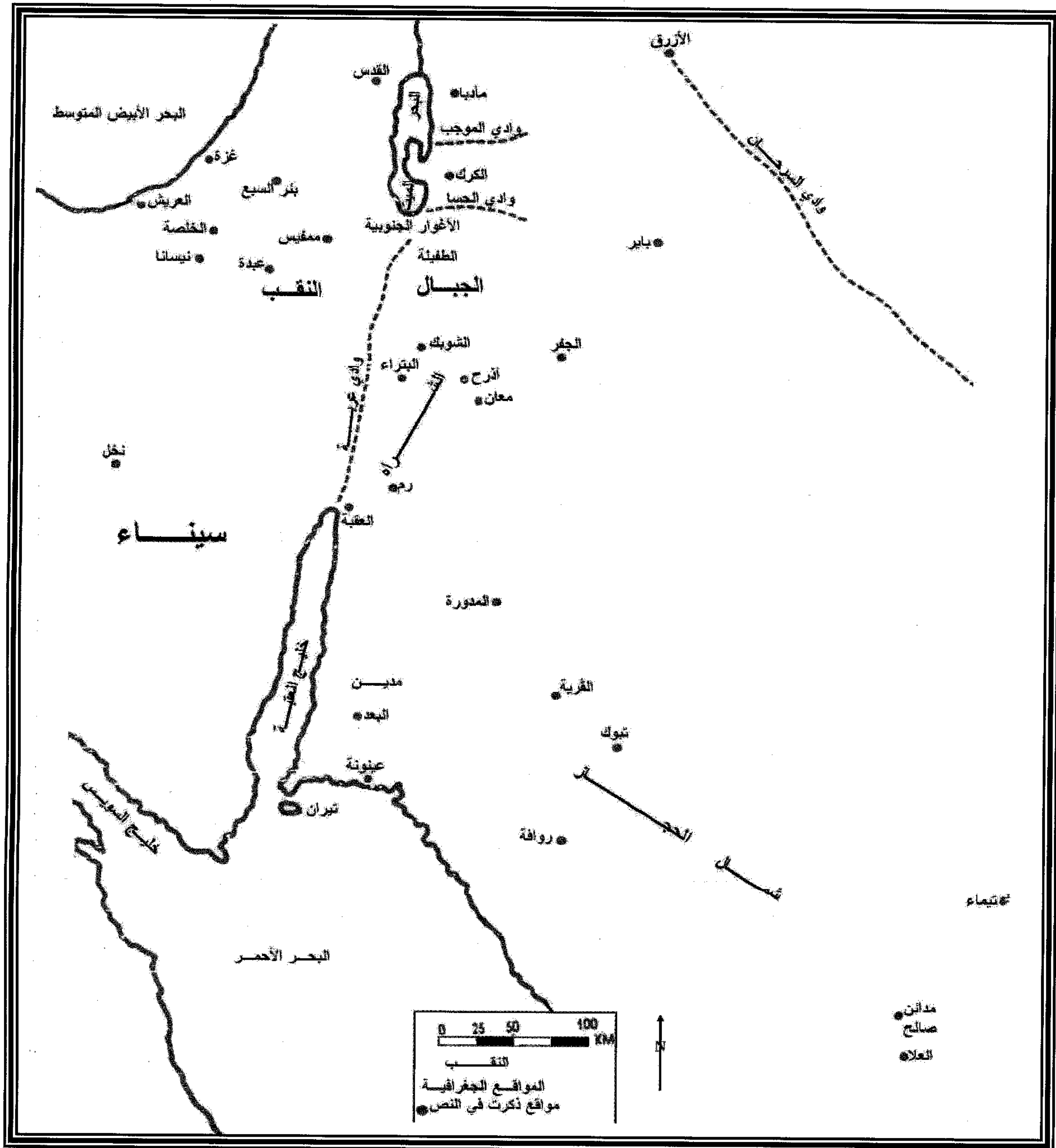
Kraemer, C, **Excavations at Nessana: Non Literary Papyri**, Princeton University Press, Vol 2, 1958.

Lehtinen, M, "Petra Papyri", ***Near Eastern Archaeology***, Vol 65, 4, 2002, 277278-.

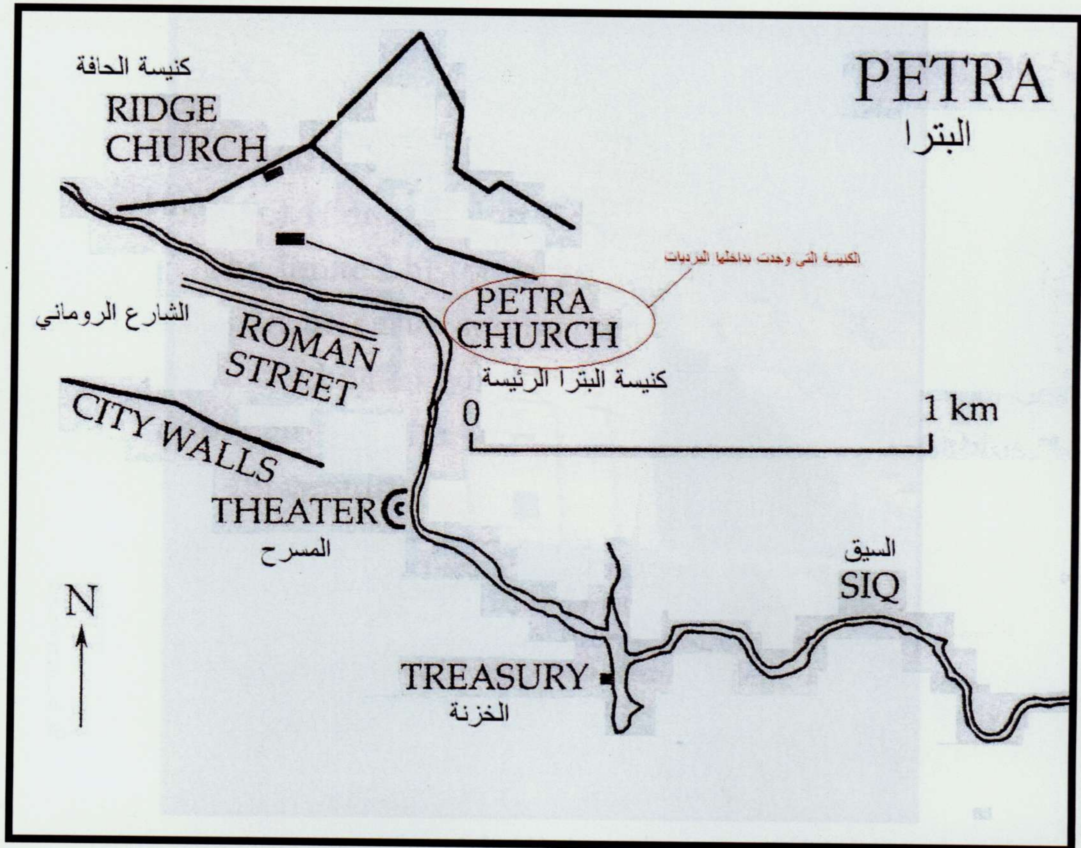
Lewy, H. «Assyro-Babylonian and Israelite Measures of capacity and Rates of Seeding», ***JAOS***, 1944, 64, 2, 6573-.

Mayerson, Ph, "The Use of the Term Phylarchos in the Roman – Byzantine East", ***ZPE***, 88, 1991, 291-295.

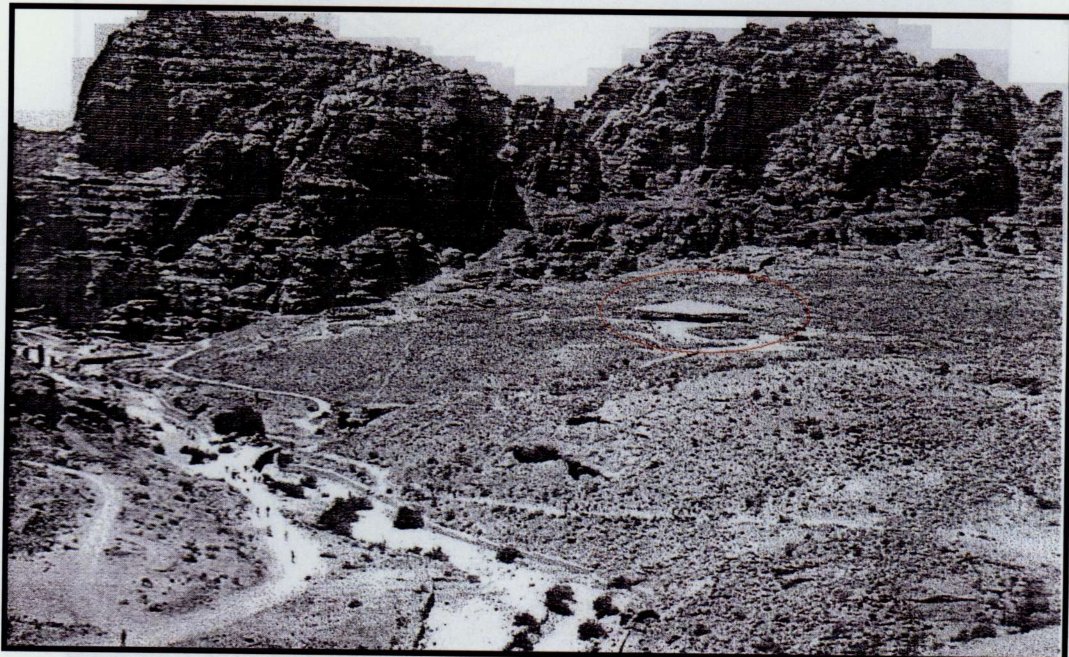
Millar, F, The Roman Coloniae of the Near East: A Study



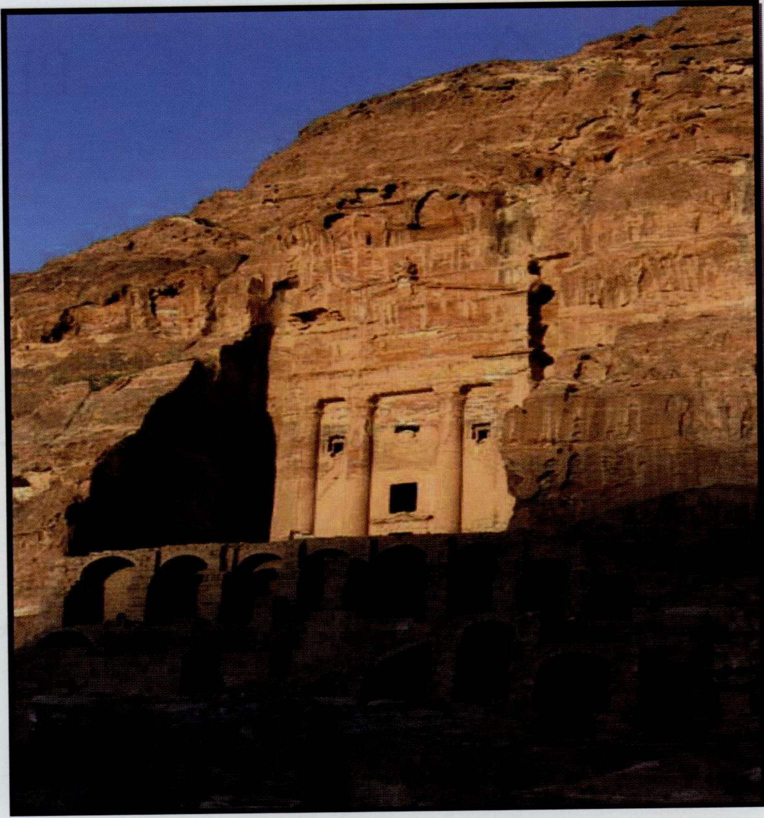
الخريطة رقم (١). منطقة جنوب الأردن خلال الفترة البيزنطية Fiema, 1991, 276.



الخريطة رقم (٢). مخطط لمنطقة وسط مدينة البترا وكنائسها Frösên, Arjava, and Lehtinen, 2002, 7.



Frösên, Arjava, and Lehtinen, 2002, 7



الصورة رقم (١). ضريح الجرة.



الصورة رقم (٢). كنيسة البترا الرئيسة من الداخل.

الخريطة رقم (٣). الطرق التجارية خلال الفترتين النبطية والرومانية Fiema, 1991,279.

Petra and its environs in the sixth century AD through the Papyri discovered in the Petra church in 1993

Mohammed Ismail Nasrat

University of King Hussein Bin Talal

(Received 10\5\1431H; accepted for publication 15\7\1431H)

Keywords: Byzantine Papyri, Petra, Southern Jordan, Agriculture.

Abstract. This research attempts to shed some light on the area of Petra and its environs during the Byzantine period by relying on the papyri discovered in the Byzantine Petra Church in 1993, where the papyrus indicates the existence of a stable society, in addition to the continuation of human settlements in Petra and the neighboring areas such as Udhruh and Al- Sadaqa, especially after the frequent earthquakes that hit the region during the Byzantine period. Archaeological excavations and surveys that have been conducted in the region confirmed the accuracy of the information in papyri. In addition, papyri show that agriculture was the backbone of the economy during this period, and the ownership of the people of Petra and its surroundings, large areas of land within the region, and the extension of these properties to the Gaza Strip in Palestine.